منهج و خصائص و مقومات ترجمة معاني القرآن و شرحها لفضيلة الشيخ محمد كرم شاه الأزهري

* ثناءالله الأزهري

**راحيله خالد قريشى

Abstract

This article deals with one of the famous exegesis namely "Tafseer Zia ul Quran" putting light on its methodology, characteristics and constituents. The study points out the variation in its methodology as it covers diverse fields of Arabic language like literary and linguistics, divine prospective where it discusses core issues of Islamic belief system like the oneness of God, the Infallibility of the prophet Muhammad (P.B.U.H). The study further tells about the moral aspect dealt with in the exegesis. "Tafseer Zia ul Qran" is of various characteristics as the study explores like comprehension and powerful choice of meaning while translating Arabic words and sentences. Yet the interpreter merges the two kinds of translation; by word and by sentence. The author in his work has strong feelings regarding the misconceptions and misunderstandings among the Muslims and thus remains neutral and eager to bring the different schools of thought together. The author seems to be much desirous to avoid blaming Muslims of blasphemy or likening them with non-Muslims. The study concludes with suggestion that accurate translation of the Quran can bring a lot of misconceptions and misunderstandings among the various sects to a point of agreement, and that is what "Tafseer Zia ul Quran" seems to be an exemplary exegesis, indeed.

Keywords: Tafseer Zia ul Quran, Discusses core issues, Islamic belief system, Moral aspects, Comprehensive inter petition, Holy Quran.

خلاصة المقال:

إن هذا المقال يحتوي على تمهيد و ثلاثة مباحث أما التمهيد فيشتمل على بيان أهمية ترجمة معاني القرآن الكريم و تعريف مصطلح معروف بين مترجمي القرآن الكريم و ذلك " ترجمة معاني القرآن الكريم "

أما المبحث الأول: فيتحدث عن منهج الشيخ محمد كرم شاه الأزهري في ترجمته لمعاني القرآن الكريم و له أربعة جوانب١- الجانب اللغوي و الأدبي ٢- الجانب الإلهي ٣- الجانب النبوي ٤- الجانب الأخلاقي

و المبحث الثاني يلقي الضوء على خصائص ترجمة معاني القرآن الكريم و له ثلاثة محاور المحور الأول يتعلق بالنقاط الفنية للترجمة و المحور الثاني يعرض فيه بعض الأمثلة التي تظهر أن المترجم اهتم بعصمة النبي صلى الله عليه و آله وسلم في أُثناء الترجمة للآيات المختلفة اهتماماخاصا.

---

*الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد.

**الأستاذة المشاركة ورئيسة قسم اللغة العربية وآدابهابالجامعة الإسلامية بهاولفور.

و المبحث الثالث:يبرز مقومات ترجمة معاني القرآن الكريم للشيخ محمد كرم شاه وله ثلاثة نواحي **١**-تربية الإنسان و تزكيته **٢**- إصلاح المجتمع **٣**- اتحاد الأمة الإسلامية.

تمهيد:

أهمية ترجمة معاني القرآن الكريم :

هذا من المعلوم عند كلٍّ من له مَسَكَةُ العقل أن أهمية ترجمة معاني القرآن الكريم لا ينكر بها و لاسيما في العصر الحديث إذ ينتشر الدين الإسلامي إلى أبعد مناطق الأرض و أقصى الدول الغربية و الشرقية لا بد أن تكون دعوتنا تحت هذا الشعار أن "**القرآن للجميع**" لذلك من الضروري أن تترجم معاني القرآن الكريم في جميع لغات العالم وعلى المسلمين أن يثبتوا هذه الحقيقة بعملهم و جهودهم المضنية أن القرآن لجميع الأقوام و الشعوب التي تعيش في بقعة الأرض عن طريق نقل معاني القرآن الكريم إلى جميع اللغات في العالم نقلا دقيقا و صحيحا.

إن علماء المسلمين الربانيين في كل مكان عامة و في شبه القارة الهندية خاصة أقبلوا تحديات عصورهم و قاوموا بكل الوسائل المتاحة في مجال الحرب الثقافي و الحرب القتالي معا إلا أنهم ركزوا على توصيل المفاهيم القرآنية إلى كافة مجموعات المجتمع و فصائلها و يؤيد ذلك الباحث محمد عزيز الندوي قائلا:

"في عقود الإحتلال الإنجليزي كان الوضع مزرياً بتخلف المسلمين و انحطاطهم لكن العلماء المسلمين واصلوا بحوثهم الرائعة في ترجمة معاني القرآن الكريم و تفسيره باللغة الأردية.[١] و زاد هذا المجال أهمية عندما ظهرت ترجمات معاني القرآن الكريم المحرفة أو غير دقيقة يقول دكتور أحمد ذكي حماد في هذا الصدد في محاضرة بمكتبة الاسكندرية بعنوان "ترجمة معاني القرآن: الأصول والقواعد"

" ترجمة معاني القرآن الكريم قد ظهرت للمرة الأولى في عهد النبي محمد صلى الله عليه وآله سلم, ذلك انه كان يترجم الآيات التي يوردها في رسائله الي الملوك والحكام الأعاجم, كما أشار إلي ان جهود المستشرقين في ترجمة كتاب الله بدأت في القرن الثاني عشر للهجرة,عندما أنجز روبرت كيتوني عام **١١٤٣** ترجمة لاتينية للقرآن , كانت زاخرة بسوء الفهم, ولكنها شكلت أساسا للكثير من الترجمات الأخري التي ظهرت بعد ذلك.[٢]

وأشارد.حماد الي أن ترجمات المستشرقين إما كانت تضم معاني مغلوطة ومحرفة للقرآن, كما في حالة ترجمة جورج سال وجون رادول وادوارد بالمر وريتشارد بيل, أو كانت منصفة, كما في حالة آرثر جون أربري ,لكنها مع ذلك لم تكن دقيقة, إذ أراد أن يصدر ترجمة للقرآن بالإنجليزية توازي جمالية القرآن بالعربية, ما أدّى الي استخدامه ألفاظا انجليزية صعبة وغير مفهومة أدّت هذه الترجمة إلي تحريف المعنى المقصود, وضرب د.حماد مثلا على تحريف في معاني القرآن قام به اليهودي أهارون بن شمش في سبعينيات القرن الماضي , عندما أشار في ترجمة لإحدى الآيات القرآنية إلي أن المسجد الأقصي يبعد عشرة أميال عن مكة المكرمة في مكان يسمي الجعرانة, وهو ما ينافي الواقع ".[٣]

هكذا كان يقع بعض المترجمين في أخطاء واضحة في أثناء ترجمة القرآن الكريم و لا شك فيه أن هذا الموقف يتقاضى القيام بالأعمال القيّمة و الانجازات الكبيرة في مجال ترجمة القرآن الكريم من جانب الباحثين المسلمين في كلّ مكان و زمان.

تعريف المصطلح" الترجمة"

إذا ننظر إلى هذا المصطلح من المنظور القرآني من الممكن أن نقول أن المراد من ترجمة معاني القرآن الكريم هو نقل مفاهيم القرآن من اللغة العربية القرآنية إلى اللغة العربية الأدبية المعاصرة أو إلى اللغة الأخرى لغير الناطقين باللغة العربية في أنحاء العالم. و يقول الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد إبراهيم:

الترجمة في اللغة العربية تعني نقل مفاهيم الكلام من لغة إلى لغة أخرى بدون بيان لمعنى الأصل المترجم و ذلك كوضع مرادف مكان كلمة من لغة واحدة هذا من ناحية و من ناحية أخرى الترجمة تفسير الكلام و بيان معناه بلغة أخرى(٤)

و جاء في تاج العروس للزبيدي (م ١٢٠٤ ه " و الترجمان, المفسر بلسان و قد ترجمه عنه إذا فسّر كلامه بلسان آخر" و قال الجوهري (م ٣٩٣ه) في الصحاح "و قيل نقله من لغة إلى لغة أخرى"(٥)

المبحث الأول:

منهج ترجمة معاني القرآن الكريم و شرحها عند الشيخ محمد كرم شاه:

إن ترجمة معاني القرآن الكريم التي قام بها الشيخ محمد كرم شاه رحمه الله تعالى طبعت في البداية في تفسيره للقرآن الكريم باسم "ضياءالقرآن" ثم بعد ذلك قام بطبعها على حدة باسم "جمال القرآن" دون تفسير. هذا التوضيح لمن لا يعرف الفرق بينهما كما أن هذه الترجمة الأردية نقلها إلى اللغة الإنجليزية أنيس أحمد شيخ و طبعت في المرّة الأولى سنة٢٠٠٠م من لاهور و كراتشي كما أن الباحث الكبير فضيلة الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد إبراهيم رئيس قسم اللغة الأردية بكلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر فرع البنات بالقاهرة مصر قام بذكر ميزات هذه الترجمة باللغة العربية هذا إن دلّ على شيئ إنما يدلّ على أهمية و رواج هذه الترجمة في اللغات المختلفة. أما منهج ترجمة معاني القرآن الكريم الذي اختاره صاحب جمال القرآن منهج يجمع بين القديم و الجديد يراعي فيه شتى الجوانب من البيان و شرح الآيات القرآنية باللغة الأردية منها ١- الجانب اللغوي و الأدبي ٢- الجانب الإلهي ٣- الجانب النبوي ٤- الجانب الأخلاقي.

1-الجانب اللغوي و الأدبي

أ- الأسلوب المختار في الترجمة:

يقول الشيخ محمد كرم شاه رحمه الله تعالى موضحا منهج ترجمة معاني القرآن الكريم في جمال القرآن.

" إن ترجمات معاني القرآن الكريم باللغة الأردية التي قمت بقراءتها و دراستها يمكن تقسيمها إلى قسمين: أولهما: ترجمة تعتمد على اللفظ أي ترجمة اللفظ باللفظ , ولكنني وجدتها أنها تفقد قوة البيان التي تميز

القرآن بنصوص أخرى بل إنها روح القرآن الكريم. و ثانيهما: ترجمة تعتمد على تركيب الجملة بالكامل , و مشكلة هذا النوع من ترجمة معاني القرآن الكريم أنه توجد المسافة الطويلة بين اللفظ المترجم و معناه , و في بعض الأحيان ترجمة لفظ يأتي بعد سطرين أو قبل سطرين لذلك يواجه القارئ مشكلة في معرفة الألفاظ و المعاني للآيات القرآنية حتى تفهم المعاني بالترتيب , وإنني حاولت أن أجمع بين هذين النوعين من الترجمة حتى لا يتسرب الخلل في النظم القرآني و إلى جانب ذلك هذه الترجمة لا تفقد قوة البيان و الشرح و الوضوح في أي مكان بوضع ترجمة معنى اللفظ تحته.[٦]

2– لغات المصادر و المراجع:

إن المترجم تناول ترجمات القرآن الكريم قديمة و حديثة على حد سواء وذلك باللغات المختلفة منها ١-اللغة العربية ٢–اللغة الأردية ٣– اللغة الفارسية ٤– اللغة الإنجليزية كما أنه حاول أن تكون الترجمة خلاصة هذه المراجع و المصادر التي توجد بهذه اللغات العالمية المختلفة.

3– التحقيقات اللصرفية و النحوية:

قام المترجم بالتحقيقات اللغوية و الصرفية و النحوية لأهل العلم و الفن في هذه العلوم التي تدل على أنه اختار منهج التحقيق و البحث في ترجمة معاني القرآن الكريم و حاول أن يبتعد من الأفكار السطحية كما يبدو من هذه المحاولة منه أنه كان يحب العناية و الاهتمام باستخراج و نشر المعاني التي تليق بكلام رب العالمين.

يقول المترجم:

"عندما رأيت الصعوبة اللغوية و الصرفية و النحوية في تحديد معنى آية من الآيات القرآنية من خلال ترجمة القرآن الكريم حاولت أن أشرح معنى هذه الآية في ضوء المصادر و المراجع لآئمة هذه الفنون و فرسانها حتى تزيل جميع الأشكال و تكون الترجمة واضحة و بيّنة للقارئ باللغة الأردية"[٧]

ومن يريد أن يرى بعض النماذج من هذه التحقيقات اللغوية فعليه أن يراجع المقامات التالية في تفسير ضياءالقرآن للمترجم نفسه:

4– توضيح المعاني بذكر الأشعار العربية و الأردية و الفارسية:

إن المترجم يأتي في بعض المقامات في تفسيره بالأبيات المختارة من اللغات الثلاثة إلا أنه استفاد في معظم الأحيان بأشعار العلامة محمد إقبال باللغة الأردية و الفارسية يتضح من هذا أنه كان عاشقا لإقبال و دارسا له دراسة عميقة.

5– ألوان تحديد المعنى في ترجمة معاني القرآن:

وجدنا أن المترجم اختار ألوانا و أنواعا شتى في هذه الترجمة حيث إنه أحيانا يحدد معنى الآية الكريمة معتمدا على الآيات القرآنية الأخرى و أحيانا يستهدي من الأحاديث النبوية على صاحبها الصلوة و السلام و

مرة يستعين بالأقوال المأثورة لصحابة النبي رضوان الله عليهم أجمعين و مرة يتجه إلى المعاجم و القواميس و يختار المعنى بعد فحص و بحث طويل معتمدا على اجتهاده و رأيه في ضوء القواعد المعروفة في هذا المجال.

6- اتجاهه في الترجمة عامة.

هذا من لافت النظر أن المترجمين لمعاني القرآن الكريم تميزوا و عرفوا باتجاهاتهم و ترجيحاتهم و حاولوا أن يصدروا ترجمة الآيات القرآنية جامعة و شاملة و مقبولة عند الأوساط العلمية المعروفة المعاصرة لذلك يحدد ترجيحه في مجال ترجمة معاني القرآن الكريم قائلا:

"إن الشخصيات العبقرية خدموا القرآن الكريم في جميع الأزمنة و الدهور و كل منهم انتخب اتجاها من الاتجاهات السائدة في عصورهم و بذلوا قصارى جهودهم و خلّفوا وراءهم ثروة علمية و فكرية و أدبية تتباهى بها الثقافة الإسلامية و المكتبات العلمية لكني أميل إلى اتجاه أكثر أهمية و أفيد نفعا و هو هداية الناس و رشدهم إلى معرفة ربّ العلمين. كما قال الله تعالى (هذا بيان للناس و هدى و موعظة للمتقين)[٨]

كما أنه ركز على العناية و الاهتمام بمقاصد الشريعة في ترجمة معاني القرآن الكريم وإن مقاصد الشريعة خمسة حسب ما أشار إليها العلامة الشاطبي حيث قال:

"مقاصد الشريعة خمسة تراعى في كل ملة و هي حفظ الدين و النفس و النسل و المال و العقل"[٩]

2- الجانب الإلهي في ترجمة معاني القرآن الكريم وشرحها:

1- عقيدة التوحيد:

هذا معروف أن عقيدة التوحيد أصل و أساس و سلّم أول للوصول إلى المعرفة الإلهية وحتى الدخول في دائرة الإسلام و عرّف لنا محتويات عقيدة التوحيد الإمام محمد عبده قائلا " التوحيد علم يبحث فيه عن وجود الله تعالى و ما يجب أن يثبت له من صفات و ما يجوز أن يوصف به و ما يجب أن ينفى عنه "[١٠]

لذلك إن المترجم يهتم بها اهتماما بالغا حيث قال:

" أمر الله سبحانه و تعالى نبيه عليه الصلوة و السلام بإعلان الوحدة الإلهية لئلا يجرؤ أحد على أن ينسب الألوهية إلى محمد صلى الله عليه و سلم لأنه كاشف الستار عن الذات الإلهية كيف يدعي الألوهية بعدما ادعى النبوة في آن واحد لذلك استهلّت سورة الإخلاص بكلمة "قل " و فيه خطاب للنبي عليه الصلاة و السلام بإعلان وحدة الذات الإلهية في ربوع مكة و بقاع العالم و استهدفت هذه السورة أيضا نفي ألوهية الخلق من الرؤساء و الأمراء و الملوك و السلاطين عندما تتساقط ورود الوحدة الإلهية من لسان الحبيب المعصوم و نفي كل ما يخالف مع عقيدة التوحيد من العقائد السائدة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم و ما تحتوي عليه هذه العقائد من المشابهة و المماثلة و التعدد و الشركة و الوالدية و الولدية بأسلوب حاسم و ايجاز-[١١]

الشرك بالله تعالى و نقضه:

هذه القضية هامة جدا في حياة المسلم و من الضروري أن يعرف عنه حتى لا يقع فيه أبدا و يقبل على الآخرة بالعقيدة الطاهرة السليمة من شوائب الشرك بالله تعالى لأن الله لا يغفر الذنوب كلها إلا هذا الذنب حيث قال الله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشآء)[١٢] و يقول المترجم في شرح هذه الآية:

"مراتب الشرك ثلاث عند القرطبي ١- اعتقاد شريك لله تعالى في ألوهيته و هو الشرك الأعظم و هو شرك الجاهلية ٢-و يليه في الرتبة اعتقاد شريك لله تعالى في الفعل و هو من قال إن موجودا ما غير الله تعالى يستقل بإحداث فعل و إيجاد و إن لم يعتقد كونه إلها.٣- و يليه الشرك في العبادة و هو الرياء , ولا بد أن نعرف أن الشرك ظلم عظيم و افتراء كبير على الله تعالى ولذلك وعد الله تعالى بمحو الذنوب كبيرها و صغيرها عن كتاب الأعمال و إن مات مرتكبوها قبل التوبة إلى الله تعالى إن شاء جل وعلا و لكن الشرك لا يغفره أبدا.[١٣]

إن المؤلف قام بتناول هذه القضية الهامة بكل وضوح و يحذرنا أن نقترب إلى الشرك الأكبر أو الأصغر الشرك الجلي أو الخفي و هذا أيضا من المهم أن نطّلع على أن الرياء قسم يعتبر من الشرك الأصغر الذي لا ينافي التوحيد و لكنه إثم كما نعرف أن صفة القدرة لله تعالى في إيجاد كل شيئ ثابتة لا يشارك فيه أحد يقول الأستاذ الدكتور عوض الله حجازي عن هذه الصفة:

" صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتمّ بها إيجاد كل ممكن أو إعدامه على وفق الإرادة "[١٤] لذلك يرى الباحث أنه لا بد أن نعتمد في كل شئ على الله تعالى الذي قادر على كل شيئ ولا نشرك به أحدا.

3- الجانب النبوي في ترجمة معاني القرآن الكريم و شرحها:

عصمة النبي صلى الله عليه و سلم

و خير ما نفتتح به من كلام تحت هذا الموضوع هو قول الدكتور إبراهيم محمد إبراهيم و هو يقول:

"وبمقارنة ترجمة و تفسير الشيخ محمد كرم شاه الأزهري ببعض الترجمات السائدة و المعروفة في المجتمع الباكستاني و الناطقين بالأردية وجدنا أن أكثر ما تتميز به ترجمة الشيخ و تفسيره هذا الحب الدافق لله سبحانه وتعالى و نبيّه الكريم صلى الله عليه و آله وسلم بحيث أصبح هذا الحب هو المحور الذي دارت حوله الترجمة وهو ما نلمسه في ترجمة معنى الآية الكريمة (ووجدك ضالًّا فهدى) من سورة الضحى فقال " ووجدك هائما في محبته فأبلغك ما ترنو إليه" و قال الشيخ الطنطاوي الجوهري " ووجدك ضالًّا عما أنت عليه اليوم من أحكام الشريعة فهداك و عرفك الشرائع من القرآن[١٥]و ترجم الشيخ المودودي الآية هكذا " ووجدك ضالّا لا تعرف الطريق فهداك إليه"[١٦] و نجد الأمر نفسه في ترجمة و تفسير الآيتين الأوليين من سورة الفتح (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تأخر)(فترجم الشيخ محمد كرم شاه: " لقد أعطيناك بالتأكيد فتحا مبينا لكي يزيل الله ما ألصق بك من التهم قبل الهجرة و بعدها.[١٧]

و يوضح هذه الفكرة دكتور إبراهيم قائلا: و لم يترجم الشيخ لفظ "ذنب" بالمعنى الذي يتبادر الذهن أولا محبة لرسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ثانيا معتمدا على ما ورد في الأثر عن عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم و ارتكاب الذنب أيا كان ينافي هذه العصمة , رغم أن معظم المفسرين و المترجمين اعتمدوا معنى" الهفوة " و التقصير كلمة "ذنب" في الآية مؤكدين أن الهفوة لا تنافي العصمة النبوية كما جاء في ترجمة الشيخ المودودي حيث قال: "أيها النبي لقد أعطاك الله الفتح المبين لكي يعفو عن كل ما مضى و ما هو قادم من التقصير و الهفوات"[١٨]

ولحلّ هذا النزاع بين الترجمات المختلفة نورد ما قاله دكتور عماد السيد الشربيني و هو يقول:

" ولو فرض صدور الذنب من الأنبياء و الرسل لاستلزم الامتثال في ذنوبهم و هذا الامتثال يسبب تدمير نظام العالم و النبي يرسل لاستقامة النظام لا للتدمير وفي هذا الصدد وجه البعض سهام النقد إلى الأنبياء لما يبدو منهم من أخطاء اقترفوها و يمكن الرد على هذه الشبهة بأن هذه المواقف التي تبدو أخطاء الأنبياء و الرسل كان دون قصد و إرادة و هذا الأسلوب مثل هذه المواقف لا ينافي عصمة الأنبياء كما نرى في الكتاب (فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه) فالزلة هنا في الأصل استرسال من غير قصد و هذه حقيقة واضحة في قوله تعالى من سورة طه (فنسي و لم نجد له عزما-[١٩]

في الحقيقة هذه الآيات التي تلتبس مفاهيمها في بادئ الأمر لكنها عند التفكير لاستخراج المعاني التي تنسجم انسجاما كاملا مع الأغرض القرآنية و تظهر مرآة صافية تنتعش أرواح المؤمنين أمامها هذه هي المهمة التي يؤديها أهل ترجمة القرآن و تفسيره لقذف حب الله سبحانه و تعالى و رسوله صلى الله عليه و آله وسلم في قلوب المؤمنين ونفوسهم.

إن الأنبياء الكرام أحب وأقرب العباد إلى الله تعالى فقام فضيلته بإحترام هؤلاء الكبار فلم ينسب إليهم شيئا منكرا بل ذكرهم جميعا بألف كرامة؛ وإذا ذكر سيد الأنبياء والمرسلين طرأت عليه كيفية الفداء فيقول مثلا:

أ:(لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين)[٢٠] ، أي روح الكون! لعلك تهلك نفسك في همّ بأنهم لا يومنون.

ب: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)[٢١] أي ليس محمد صلى الله عليه وآله وسلم (فداه روحي) أبا أحد رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبين.

ج: (ووجدك ضالا فهدى)[٢٢] فلم ينسب الضلال عموما إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأن نسبة الضلال إليه (عليه السلام) تنافى العصمة فقال: "ووجدك غارقا فى الحب فأوصلك" إذ جاء معنى الضلال في قصة يوسف (إنك لفي ضلالك القديم) يدل على الحب المفرط؛ والهداية: إما إضاءة الطريق أو الإيصال إلى المطلوب فاختار المعنى الثاني.

4- الجانب الأخلاقي في ترجمة معاني القرآن الكريم و شرحها:

الجانب الأخلاقي في القرآن الكريم واضح و بارز على كل من يقرأه قراءة متأمل و متدبر كما أنه له دور كبير في حياة المسلم في جميع المواقف و المجالات من الثقافة و السياسة و الاقتصاد و الاجتماع و له ضرورة ملحة كما يقول دكتور محمد عبدالله دراز:

"و مما يثير الانتباه أن هذا العمل كان مفتقرا إلى بيان النظرية الأخلاقية و مبادئها و تطورها و تطبقها اللهم إلا بعض العلماء من الشيعة الذين نظموا هذا العلم كما هو معهود في إبداع العلوم و المعارف مثلما فعل الشيخ أحمد بن محمد الأردبيلي المتوفى عام ۹۹۳ للهجرة في كتابه درة البيان في آيات الأحكام و الشيخ أحمد بن إسماعيل الجزائري النجفي المتوفى ۱۱۵۰ للهجرة في كتابه " قلائد الدّرر في بيان أحكام الآيات بالأثر"[۲۳]

هذا القول إن دل على شيئ إنما يدل على ضرورة الجانب الأخلاقي في القرآن كعلم مستقل مثل سائر العلوم الأخرى من البلاغة و الصرف و النحو و الفقه و غير ذلك من شتى العلوم و الفنون الأخرى و إذا نظرنا إلى ترجمة القرآن وتفسيره للشيخ محمد كرم شاه من منطلق أهمية الجانب الأخلاقي القرآني نجد الملامح و الإشارات الكثيرة في هذا الصدد يقول في مقام:

"إن التعمق في مصادر الإلزام الأخلاقي يظهر أن الإنسان مدفوع بالغزيرة أو محمول بالعاطفة و الحقيقة تؤكد أن الله خلق الإنسان بكمال الحرية و البساطة فهو شخصية مستقلة قادرة على التقويم و الاختيار كما ترسخت هذه الحقيقة في الآية القرآنية (بل الإنسان على نفسه بصيرة - و لو ألقى معاذيره)[۲۴]

و المستفاد من هذه الآية أنه للإنسان على نفسه حجة واضحة تلزمه بما فعل أو ترك ولو طرح معاذيره و بسطها لا يمكنه أن يتخلص منها و أنه حر في إرادته و أعماله و من الممكن أن يظهر نفسه متصفا بالزهد و التقوى أمام الناس لكنه في واقع الأمر أبعد من ذلك و من هذا المنطلق فإن الإنسان البرئ يطمئن بالله و لن تقلقه تفوهات الناس كالنبي يوسف عليه السلام و أما الإنسان المكلوم أمام الضمير فلن يمسه هدوء و لا راحة و إن آذنت محكمة القضاء ببراءته-[۲۵]

مجمل هذا الكلام أن الإنسان لا بد من أن يكون مسؤلا بما يفعل و يعمل في حياته كما أنه عليه أن يسير في ضوء المنهج القرآني في التعامل مع الله تعالى و رسله و خلقه جميعا مستهديا من العقل و الشرع معا.

المبحث الثاني

خصائص ترجمة معاني والقرآن الكريم وشرحها:

(1) مراعاة دلالة الألفاظ:

روعيت في بيان المعنى دلالة ألفاظ القرآن الكريم فقد يكون اللفظ معرفة أو نكرة أو مجازا أو حقيقة ولكل منها دلالته فيجب على المترجم مراعاة ذلك فيقول (رحمه الله):

"يجب تنمية علاقتنا القوية مع اللغة العربية لفهم هذا الكتاب المقدس فهما صحيحا كما تجب معرفة قواعدها وضوابطها وفهم خصائص أدبها وأسلوب إنشائها لنتمتع بالشراب الطهور المترقرق في درر كلمات القرآن الكريم"[٢٦]

(2) اختيار المعنى المناسب:

إن اللغة العربية لغة واسعة كثيرة المعانى غزيرة المطالب وتحتمل فيها المعانى المتعددة للفظ واحد فيجب على المترجم أن يختار المعنى المناسب لسياق الكلام، وقد قام به فضيلته في بيان معان مشتركة لكلمات مختلفة اثناء الترجمة،

فعلى سبيل المثال ذكر ترجمة "رب العالمين" "أي الموصل لجميع العالمين إلى درجة الكمال" لأن التربية فى اللغة العربية "تبليغ الشئ إلى كماله بحسب استعداده الأزلي شيئا فشيئا".[٢٧]

(3) جامعية المعنى:

إن القرآن العظيم بحر ذخار للمعانى والمطالب وفي كل لفظ عالم من الأسرار والمعارف فيصعب على المترجم عموما إحاطة جميع هذه المعانى لكن التائيد الإلهي يأخذ بيد المخلصين فينجون في انجاز مكارم الأعمال، وإليكم نموذج بيانى لمعنى الكوثر في (إنا أعطينك الكوثر)، أي لا شك إنا أعطيناك و كلّ ما أعطيناك بلا حد ولا حساب.[٢٨]

4) **المزيج الجميل لنوعى الترجمة هما:**

تحت اللفظ وبالجملة: يقول فضيلته: إن تراجم القرآن الكريم بالأردية التي مرت بأنظاري نوعان الأول: تحت اللفظ: وهو يفقده قوة البيان التي هي روح القرآن وإمتيازه، والثاني: بالجملة وهي الترجمة لكامل الآية فيكون اللفظ في مكان وترجمته في مكان آخر بعيد فلا يدرى القارئ العادي هل هو يقرأ ترجمة هذا اللفظ أو غيره، فحاولت بقدر الجهد أن أجمع بين النوعين بحيث يبقى تسلسل الكلام وسلاسته ولا تقل قوة البيان أيضا مع ذكر معنى كل لفظ تحته.[٢٩]

(5) توضيح المعنى بالقوسين:

إن الكلام الإلهي موجز الكلمات كثير المعاني, ففيه إجمال وعمق وقد قام فضيلته بتوضيح بعض الكلمات بالقوسين إذ لا يمكن الإضافة في كلام الله تعالى,فذكر المعنى التوضيحي بين قوسين لتسهيل الفهم ما ذكر إختصارا فى القرآن الكريم فمثلا قوله تعالى (صO والقرآن ذي الذكر)[٣٠] أي قسما بهذا القرآن ذى النصح (أن الدعوة المحمدية حق)

المبحث الثالث

مقومات ترجمته لمعاني القرآن الكريم و شرحها:

هذه المقومات تشتمل على ثلاثة نواحي

1- تربية المسلم المعاصر:

1-النهي عن تكفير المسلمين و تشريكهم:

إنه كان ينكر إنكارا شديدا أن مسلما يكفرّ مسلما آخر أو يشبّه أعمال المسلمين بأعمال الكفار و المشركين لأن هذا العمل لا يجمع الأمة الإسلامية بل يفرّقها و يمزّقها و يقسّمها و يفتّتها لذلك ترجمته للقرآن الكريم خالية من مثل هذه الأفكار الضالّة و المضلّة.

2- التعليم بتأليف القلوب و التعامل بحسن الأخلاق:

جاء في القرآن الكريم (إنك لعلى خلق عظيم)[٣١]

نظرا للإشارة الإليهية إلى أن الرسول صلى الله عليه و آله وسلم قدوة حسنة في الأخلاق قام المترجم بالتوجيه لجميع الفرق الإسلامية إلى التحلي بحسن الأخلاق و التركيز في جمع شمل الأمة الإسلامية حول مائدة القرآن الكريم و حضرة النبي عليه الصلوة و السلام و إقامة الوحدة و التماسك و القوة في صفوفهم.

3- الإصرار على تربية النفس و تزكيتها

جاء في القرآن الكريم (قد أفلح من تزكى)[٣٢] يتضح من هذه الترجمة أن المترجم كان يعرف مسؤليته بكل جوانبها في هذا المجال لذلك إنه يهتم اهتماما بالغا في أثناء ترجمة القرآن الكريم وشرحه و بيان حدوده والقيام بتذكير المسلم المعاصر بمسؤلياته الضخمة تجاه الإسلام و المسلمين في سبيل إعلاء كلمة الحق مشيرا إلى تلك الطرق و الأساليب التي تؤدي بها المسلم مقربا إلى الله عز وجل.

4- اختيار المنهج الأساسي في ترجمة معاني القرآن الكريم:

إن الترجم اختار منهجا هادئا و هادفا خاليا من تجريح الآخرين و إهانة العلماء المسلمين إلا أنه قام بعرض ما وصل إلى النتائج بعد البحث و الاطلاع على الاتجاهات مختلفة في قضايا المسلمين المختلفة عرضا متواضعا و لم يدّعي أن باب البحث و الاطلاع اغلق بعد ما كتب أو تبنى رأية في قضية ما.

5- التركيز على نشر ترجمة معاني القرآن الكريم كدستور الحياة:

إن المسلم المعاصر يقبل المفاهيم الإسلامية في دائرة ضيقة جدا و لا يتوسع فيها هذا مرض كبير و لهذا المرض أسباب كثيرة لذلك إن المترجم يرى أن المسلم المعاصر في أمس الحاجة إلى من يعرض عليه ترجمة القرآن و شرحه في صورة توحي و وتكشف هذه الحقيقة أن القرآن الكريم و الحديث الشريف يتحدثان عن دستور كامل للحياة الإنساني كما أن كل منهما يرشدنا إلى المسار الصحيح في التقدم و تطور الأمة الإسلامية في جميع شعب الحياة.

6- الترغيب إلى العمل الصالح

هذه الترجمة تحث على العمل الصالح بالإحساس المفرط لأن الله تعالى قال في كتابه (و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون)[٣٣] و تؤكد على أن قانون مكافأة العمل لا مفر منه لذلك لا بد من أن الإنسان يتجه إلى الله ويقبل على العمل الصالح في جميع الأحيان في السرّاء و الضرّاء و في جميع مواقفه في حياته كلّها.

7- الرعاية على التسهيل و التوضيح و التفهيم:

إن الهدف الأساسي من القرآن الكريم أن الإنسان يفهم ما جاء فيه من الأحكام للإنسان و الأسرار والرموز للكون و المخلوقات كما جاء في القرآن (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت)[٣٤] في أثناء ترجمة معاني الكريم إن المترجم حاول محاولة جادة في سبيل تفهيمها و ترسيخها و تثبيتها في أذهانهم و عقولهم و قلوبهم.

2- إصلاح المجتمع:

1- الإحساس المفرط بتمزيق و تقسيم الأمة الإسلامية:

إن المترجم كان يشعر بقلق شديد لعدم وجود الوحدة في صفوف المسلمين عامة و تفريق أهل السنة و الجماعة في فئات و مجموعات مختلفة كثيرة بصفة خاصة قام بالمحاولة في تطبيق و تنفيذ الأمر الإلهي الذي يقول (و اعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرقوا)[٣٥] بصفة عامة على مستوى الأمة الإسلامية .

2- التأكيد على اختيار المنهج المعتدل في مجال الدعوة إلى الله:

إن القرآن يعرض منهجا خاصا في مجال الدعوة إلى الله سبحانه قائلا: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة)[٣٦] من هذا المنظور إن المترجم قام باتّباع هذا الأمر الإلهي في الخطابة و الكتابة و في كل ما اتخذ من طرق التبليغ و الدعوة إلى الله تعالى و نشر الدين الإسلامي.

3- الجهود و المساعي في التقريب بين المذاهب الإسلامية:

إنه حاول دائما بكل الوسائل المتاحة من عقل واع و شعور كامل و علم واسع و صبر و تسامح في سبيل نبذ الخلافات و النزاعات بين الفرق الإسلامية المختلفة و بمصطلح حديث من الممكن أن نقول المحاولات الجادة في التقريب بين المذاهب الإسلامية.

4- الاستنكار من تفشي الفساد في المجتمع الإسلامي :

جاء في القرآن الكريم (و إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون)[٣٧] هذه الطائفة التي تقوم بالفساد باسم الدين و إصلاح الناس موجودة في العصر الحاضر إن المترجم قام بالرد عليهم كما أن المؤلف كان معروفا بعدم الالتفات إلى الإكبار و الإضافة و التوسع و الزيادة في الخلافات بين المسلمين في كل مكان عامة و في شبه القارة الهندية خاصة.

5- التجنب من إفشاء الكراهية و الحسد:

جاء في القرآن الكريم (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقو الله لعلكم ترحمون)[٣٨] طبقا لهذا الأمر الإلهي إنه كان صورة حية للأخوة و مصلح الأمة الإسلامية إنه كان يتجنّب من إشعال نار العداوة و البغض في قلوب المسلمين بعضهم ببعض كما إنه كان يلقّن تلاميذه بالاستبعاد من الخلافات الفرعية التي تؤدي إلى إشعال نار الفتنة و الكراهية و في بعض الأحيان المشاجرات والمقاتلات بين المسلمين.

6- العدل و الإنصاف في العقيدة الإسلامية:

إنه كان بعيدا كل البعد أنه يقوم بتغيير المعنى أو تحريفه أصولا و فروعا والتعريف بما يعتقده المترجم من العقائد الفرعية بل إنه كان يسعى إلى أن يثبتها بأدلّة من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية الصحيحة على صاحبها الصلوة و السلام و إجماع العلماء الربانيين عليها.

3- اتحاد الأمة الإسلامية:

خدمات المترجم لتوحيد كلمة المسلمين:

يقول عن المترجم أستاذنا الشيخ الدكتور حسن الشافعي (حفظه الله):"ومن أجمل الجوانب التي ازدهرت في شخصية شيخنا وأسلوبه فى العمل: سماحته النفسية، ورجاحته العقلية، وسعة أفقه فى العمل الإسلامي، فما كان متعصبا ولا متشددا بل كان متسامحا منصفا حتى مع من يخالفونه الرأي، حريصا على جمع الشمل، ولم الشعث، وتوحيد الصف الإسلامين وعدم التبديد لطاقات الأمة في خلافات صغيرة يمكن التجاوز عنها إيثارا للمصلحة العامة للأمة، التي أثخنتها الجراح، ونالت منها عوامل الفرقة والإختلاف، وقد لمست بنفسي من مواقف السماحة التي خالف فيها الشيخ بعض أصحابه، ووافق بعض مخالفية في الرأي ما أكد لديه أنه ياخذ عمليا ودون ضجيج إعلامي بالمبدأ الوسطي القائل: "نتعاون فيما اتفقنا فيه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه""[٣٩]

وفى الحقيقة يحاول أعداء الإسلام دائما ايقاع الفتنة بين أخوة المسلمين فتارة يثيرون خلافات اقليمة وتارة يصبغونها بصبغة دينية؛ ومن السعداء الذين جاهدوا في تقليل فجوة الخلاف بين المسلمين شيخنا الجليل رحمه الله؛ فيقول في مقدمة تفسيره "إنها لحقيقة فاجعة مؤلمة أن باب التشتت والإفتراق انفتح فى الأمة الإسلامية منذ الزمن وقد أمروا:"واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا" ولكن انقسمت هذه الأمة أيضا إلى طوائف متنازعة لمؤامرات المعارضين المغرضين ولا يزال التوتر والمرارة تزيد يوما بعد يوم"[٤٠]

أ- وأكثر ما يؤلم المرء اختلاف أهل السنة فيما بينهم فصاروا طائفتين مختلفتين وإن كانوا متفقتين في توحيد الله تعالى فى الذات والصفات، وختم النبوة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن الكريم والقيامة وكل ما ثبت من الدين بالضرورة ولكن عدم الإحتياط في بعض الكتابات وعدم الإعتدال في بعض الخطبات يورث

سؤالتفاهم ويؤدى سوء الظن إلى صورة من أبشع الخلاف ولو اختير مسلك الإحتياط والإعتدال فى الخطاب والكتابه وقضى على سوء الظن لانتهاء الخلاف في معظم المسائل-(٣١)

إن القرآن الكريم هو أصل أصول الدين وحبل الله المتين الذي أمرنا أن نتمسك فلا نختلف ولا نتفرق لكن بعض الناس اتخذ تأويله وسيلة التفريق لأمة وجعل يطبق على المسلمين آيات نزلت فى المشركين

وإذا قرأ قارئ منصف تفسير ضياءالقرآن لاعترف بلا تردد أن مطالعته تنقشع بها غيوم الشكوك والشبهات ويتحول البعد إلى القرابة والعداء إلى المحبة والأخوة أن المفسر الكريم ذكر مذهب أهل السنة والجماعة مع الأدلة دون المساس بتجريح الآخرين.

فعلى سبيل المثال مسئلة التوسل جعلوها محط الخلاف الكبير فيقول عنها (رحمه الله) ولو اعتقد أحد أن وليا من الأولياء أو شهيدا أو نبيا هو مستقل بالذات ويفعل شيئا ولو لم يشاء الله تعالى فهو شرك وفاعله مشرك وبسطها الشاه عبدالعزيز (رحمه الله) في تفسيره وذكر خلاصته مولانا محمود الحسن في حاشيته على القرآن الكريم بأن الإستعانة من غيرالله لا تجوز ولكن لو جعل احد الصالحين وسيلة للرحمة الإلهية واستعان به في ظاهر الأمر معتقدا إياه غير مستقل بالذات فجائز لأن هذه الإستعانة انما هي من الله تعالى فى الحقيقة"(٣٢)

وتناول فضيلته جميع الفروع الخلافية بالوسطية والسماحة مستدلا بالقرآن والسنة مجتنبا من تفريق الأمة و تمزيقها و تقسيمها و تفتيتها لأنه كان على علم يقين أن هذا التجزء و الطائفية و الانشقاق و الافتراق يضعف جسم الأمة الإسلامية و التاريخ الإسلامي شاهد على ذلك أن كلما الأمة الإسلامية انقسمت في الفرق و المجموعات التي تفشت الكراهية والبعد و الحسد و البغض بينها اضمحلت و انحطت إلى الدرك الأسفل من الزلة و الهوان في جميع مجالات الحياة سواء كان المجال الاقتصادي أو السياسي أو الثقافي أو الاجتماعي.

خلاصة الكلام أن مجال ترجمة معاني القرآن الكريم أشد أهمية في العصر الحاضر و أكثر أهمية و رعاية و عناية من هذا الجانب إن المترجم شمل الأمة الإسلامية من خلال هذه الترجمات المباركة للقرآن الكريم لكي تكون هذه الترجمات مساهمة فعالة في ارجاع المجد المفقود للأمة الإسلامية في العصر الحديث و في جميع العصور القادمة بإذن الله تعالى و لا تكون مرجعا لتكوين جماعة خاصة أو طائفة معيّنة تكره المسلمين الآخرين و تفرق بين الأمة الإسلامية و تضعفها بل تكون محاولة جادة في سبيل تكوين وحدة الأمة الإسلامية المجيدة.

و بالله التوفيق و السّداد.

الهوامش:

1- جهود العلماء الهنود في تفسير القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري رسالة ماجستير في الشريعة الإسلامية بكلية دارالعلوم جامعة القاهرة مخطوط رقم ١١٥ ص ٢٨

2. http://digital.ahram.org.eg/condition_use.aspx

3 المصدر السابق

4- ضياءالأمة العلامة الشيخ محمد كرم شاه الأزهري و ترجمة القرآن الكريم , الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد إبراهيم الأستاذ بجامعة الأزهر مؤسسة ضاءالثقافة للطباعة و النشر و التوزيع , لاهور باكستان ,٢٠٠٩م، ص٣١

5- تاج العروس للزبيدي , دارالفكر بيروت لبنان. سنة ١٩٨٥م ج ٨ ص٢١١

6- جمال القرآن , فضيلة الشيخ محمد كرم شاه الأزهري رحمه الله تعالى , ضياءالقرآن للطبع و النشر لاهور نوع الطباعة رقم ١٠١ سنة ٢٠١١م ص ٣٦٧

7- مقدمة تفسير ضياءالقرآن.

8- تفسير ضياءالقرآن للشيخ محمد كرم شاه , ج١،ص ٩-١٠

9- الموافقات للشاطبي ط بيروت لبنان ج٣, ص٨

10- رسالة التوحيد الإمام محمد عبده , ط درالشعب القاهرة , بدون سنة الطبع ص ٧

11- تفسير ضاءالقرآن , ج ٥ ص٤٧

12- سورة النساء الآية ٤٨

13- المصدر السابق ج١, ص٣٥٢

14- دراسات في العقيدة الإسلامية , دكتور عوض الله حجازي ط القاهرة بدون سنة التاريخ ص٦١

15- الجواهر في تفسير القرآن للشيخ طنطاوي جوهري ج١٣, جزء ٢٥-٢٦ , ص٢٨٨

16- ترجمة القرآن للشيخ المودودي ص١٥٥٧

17- جمال القرآن ترجمة القرآن للشيخ محمد كرم شاه ص٦١٣

18- ترجمة القرآن للشيخ المودودي ص١٢٨٧

19- رد الشبهات حول عصمة النبي . دكتور عماد السيد الشربيني , ط١ , القاهرة سنة ٢٠٠٣ء، ص٢٥

20- الشعراء:٣

21- الأحزاب:٤٠

22- الضحى:٦

23- دستور الأخلاق في القرآن , دكتور محمد عبد الله دراز ترجمه دكتور عبد الصبور شاهين من اللغة الفرنسية إلى العربية ط مؤسسة الرسالة القاهرة ص١-٧

24- القيامة:١٤-١٥

25- تفسير ضياءالقرآن، ج٥,ص٤٣٢

26- مقدمة تفسير ضياءالقرآن،ص١٢

27- الفاتحة:١

28- الكوثر:١

29- مقدمة تفسيره "ضياءالقرآن"، ص ١٢

30- ص:١

31- القلم:۴
32- الأعلى:۱۴
33- الذاريات:۵۶
34- الغاشية:۱۷
35- آل عمران:۱۰۳
36- النحل:۱۲۵
37- البقرة:۱۱
38- الحجرات:۱۰
39- تجديد الفكر الديني، مرجع سابق،ص۱۲
40- مقدمة تفسير ضياءالقرآن.
41- مقدمه تفسير ضياءالقرآن.
42- ضياءالقرآن ج۱، تفسير "إياك نعبد وإياك نستعين